

# جالية السّالام

#### عناصر الموضوع

٨	التعريف بعيسى عليه السلام
1+	صفات عيسى عليه السلام
14	ذكر عيسى عليه السلام في القرآن الكريم
18	التعريف بمريم عليها السلام
١٨	حمل مريم بعيسى عليهما السلام
77	حوارات عيسى عليه السلام
77	معجزات عيسى عليه السلام
71	رفع عيسى عليه السلام وننزوله

#### التعريف بعيسي عليه السلام

# أولًا: اسمه ونسبه:

ذكر الله تعالى اسمه ونسبه في كتابه العزيز، فسماه المسيح عيسى، ونسبه إلى أمه مريم، ولم يزد على ذلك: ﴿ إِذْ قَالَتُوالْمَلَتُهِكَةُ يَكُمْرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةِ مِنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران: ٤٥].

فهو إذًا: المسيح عيسي ابن مريم عبد الله ورسوله.

وعيسى: اسم علم، وهو اسم أعجمي غير منصرف، وهو عبراني أو سرياني(١١).

#### ثانيًا: لقبه:

تسميته بالمسيح: التسمية بـ (المسيح) في حق عيسى عليه السلام على سبيل المدح، قالوا: وهو لقب من الألقاب المشرفة كالصديق والفاروق.

أما سبب تسميته بالمسيح:

قيل: أصله مشيحا بالعبرانية، ومعناه: المبارك.

وقيل: سمي عيسى عليه السلام مسيحًا؛ لأنه ما كان يمسح بيده ذا عاهة إلا برىء من مرضه.

وقيل: سمى مسيحًا؛ لأنه كان يمسح الأرض، أي: يقطعها.

وقيل: كان مسيحًا؛ لأنه كان يمسح رأس اليتامي لله تعالى.

وقيل: لأنه مسح من الأوزار والآثام.

وقيل: سمي مسيحًا؛ لأنه لم يكن في قدمه خمص (٢)، فكان ممسوح القدمين.

وقيل: سمي مسيحًا؛ لأنه كان ممسوحًا بدهن طاهر مبارك يمسح به الأنبياء ولا يمسح به غيرهم، ثم قالوا وهذا الدهن يجوز أن يكون الله تعالى جعله علامة حتى تعرف الملائكة أن كل من مسح به وقت الولادة فإنه يكون نبيًا.

- (۱) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ١/٣٥٣، المصباح المنير، الفيومي ٢/ ٤٤٠، لسان العرب، ابن منظور ٦/ ١٥٢، تاج العروس ١/ ٢٩٧، الكليات، الكفوي ١/ ٦٦٢.
- (٢) الأخمص باطن القدم وما رق من أسفلها وتجافى عن الأرض وقيل الأخمص خصر القدم، والأخمص ما دخل من باطن القدم فلم يصب الأرض، فالأخمص من القدم الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء.

انظر: النهاية، ابن الأثير ٢/ ٨٠، لسان العرب، ابن منظور ٧/ ٣٠.



وقيل: سمي مسيحًا؛ لأنه مسحه جبريل عليه السلام بجناحه وقت ولادته؛ ليكون ذلك صونًا له عن مس الشيطان (١).

ولما كانت العادة أن ينسب الأولاد إلى آبائهم، نسب عيسى عليه السلام إلى أمه ليكون ذلك دليلًا على براءتها، وأنه لا أب له في الحقيقة.

<sup>(</sup>۱) انظر: الكشاف، الزمخشري ١/ ٣٩٠، تفسير السمعاني ١/ ٣١٥، مفاتيح الغيب، الرازي ٨/ ٤٤، البحر المحيط، أبو حيان ٢/ ٤٨٠.

#### صفات عيسى عليه السلام

عيسى عليه السلام نبي الله ورسوله، فهو إذًا متصف بكل الصفات التي تؤهله لهذه المكانة العالية والمقام الرفيع.

# أولًا: صفاته الخُلُقية:

- الله معاذُ من الشيطان الرجيم: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتُهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعَتُهَا أَنْنَى وَاللهُ أَعَالُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّرِ كَالْأُنْنَ أَوْلِي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّ أَعِيدُهَا بِكَ وَذُرِيَّتِهَا مِنَ الشَّيطَانِ الرَّحِيمِ الله وَلَيْسَ الذَّرِ كَالْأُنْنَ أُولِي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنْ أَعِيدُهَا بِكَ وَدُرِيَّتِهَا مِن الشَّيطانِ الرَّعِيمِ الله عليه وسلم: (ما من بني آدم مولود إلا يمسه المعان عمران عبن يولد، فيستهل صارخًا من مس الشيطان، غير مريم وابنها) ثم يقول أبو الشيطان حين يولد، فيستهل صارخًا من مس الشيطان، غير مريم وابنها) ثم يقول أبو هريرة: ﴿وَإِنِي أَعِيدُهَا مِنَ الشَّيطَانِ الرَّحِيمِ ﴾ [آل عمران: ٣٦](١).
- الوجاهة: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَتَهِكَةُ يَكُمْرِيمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةِ مِنْهُ السَّمُهُ الْسَيخُ عِلَى اَبْنُ مُرّيمَ وَجِيهَا فِي الدُّنِيَا وَالْاَخِرَةِ وَمِنَ الْمُعَرِّمِينَ ﴿ إِنَّ اللّهِ عَمْرانَ: ٤٥]. والوجيه: ذو الوجاهة، وهي: وَجِيهَا فِي الدُّنِيا وَالْمُنَعَةُ وَمِنَ الْمُعَرِّمِينَ ﴿ إِنَّ عَمْرانَ: ٥٤]. القوة والمنعة، ووجاهته في الدنيا النبوة، وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة (٢٠).
  - القرب من الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ٱلْمُقَرِّبِينَ ﴿ إِنَّ عَمِران: ٤٥]. الله تعالى: ٤٥].
  - **أنه من الصالحين: ﴿وَمِنَ المُتَلِحِينَ ﴿ ا**للَّهُ عمران: ٤٦].
- كلمة الله وروح منه: ﴿ يَتَأَهْلَ ٱلْكِتَٰكِ لَا تَغْدُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَغُولُوا عَلَى اللهِ إِلّا الْمَصِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ وَالْقَنْهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحُ مِنْهُ ﴾ النساء: ١٧١]. قال الشيخ المراغي رحمه الله: ﴿ وقد خص المسيح لإطلاق الكلمة عليه وإن كان كل شيء قد خلق بكلمة التكوين؛ لأنه لما فقد في تكوينه وعلوق أمه به ما جعله الله سببًا للعلوق في العادة، وهو تلقيح ماء الرجل لما في الرحم من البويضات التي يتكون منها الجنين أضيف إلى الله، وأطلقت الكلمة على هذا المكون إيذانا بذلك، بخلاف الأشياء الأخرى، فإنها تنسب في العرف إلى الأسباب العادية » (٣٠).
- حكيمٌ: ﴿ وَإِذْ عَلَمْتُكَ ٱلْكِتَنَبَ وَٱلْمِكُمَّةَ وَٱلتَّوْرَئةَ وَٱلْإِنِيلَ ﴾ [المائدة: ١١٠]، ﴿ وَلَمَا جَاةَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَتِ قَالَ قَدْ حِثْتُكُر بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي تَغْنَلِفُونَ فِيهِ فَأَتَّقُوا الله
- (۱) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب: (وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم)، رقم ٢٤٥٤، ٦/ ٣٤.
  - (٢) فتح القُدير، الشوكاني ١/ ٣٩١.
    - (٣) تفسير المراغي ٣/٠٥٠.



- وَأَطِيعُونِ اللَّهِ ﴾ [الزخرف: ٦٣].
- عنده علم الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل: ﴿وَإِذْ عَلَمْتُكَ الْكِتَابِ وَالْمِكْمَةَ وَالْمَائِدة: ١١٠]. ﴿ وَلَمَّاجَآة عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْجِعْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَالتَّوْرَائِةَ وَالْمِيْرِيَّا لَهِ مِنْ الَّذِي تَغَنْلِفُونَ فِيدٍ فَاتَقُوا الله وَأَيلِيعُونِ ﴿ اللهِ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلْمُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُه
- موحد مخلص لله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَنْعِيسَى أَبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ التَّخَذُونِ وَأُيّ إِلَنَهَ يَن مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْت لِلنَّاسِ التَّخَذُونِ وَأَيّ إِلَى اللّهُ يَنْعِيسَى أَبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُهُ وَلَا اللّهَ يَن مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَنكَ مَا يَكُونُ لِى أَنْ الْفُرُونِ اللّهُ وَلا الْمَلْتِكَة الْفُرْبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَن يَسْتَنكِفَ الْمَسَيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِلّهِ وَلا الْمَلْتِكَة اللّهُ رَبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَن يَسْتَنكِفَ الْمَادَيَة وَيَسْتَحَيْر فَمَا لِللّهُ وَلا الْمَلْتِكَة اللّهُ وَلا اللّهَ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِي وَرَبَّ عَلَيْ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَاللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا لَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا لَاللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللل
- اللين والرحمة: يدل عليه قوله: ﴿إِن تُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكٌّ وَإِن تَغْفِر لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْمَزْيِزُ
   المائدة:١١٨].
- مبارك: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارًكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَنِنِي بِٱلصَّلَوْةِ وَٱلزَّكَوْةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿ آ ﴾ [مريم: ٣١].
  - بار بوالدته: ﴿ وَبَبِرًّا بِوَلِدَ فِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿ ثَلَيْ ﴾ [مريم: ٣٢].

#### ثانيًا: صفاته الخَلْقية:

كان عيسى عليه السلام مربوع القامة، ليس بالطويل ولا بالقصير (١)، أحمر اللون، آدم، جعد، سبط الرأس.

فعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ورأيت عيسى رجلًا مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس)(٢).

<sup>(</sup>١) انظر: أشراط الساعة ص١٥١.

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين، ٤/ ١١٦، رقم ٣٢٣٩.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر، جعد، عريض الصدر)(١).

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (وأراني الليلة عند الكعبة في المنام، فإذا رجل آدم، كأحسن ما يرى من أدم الرجال، تضرب لمته بين منكبيه، رجل الشعر، يقطر رأسه ماء، واضعًا يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت، فقلت: من هذا ؟ فقالوا: هذا المسيح ابن مريم)(٢).

أما قوله: (أحمر)، و(آدم) على الروايتين: الأحمر عند العرب: الشديد البياض مع الحمرة، والآدم: الأسمر، ويمكن الجمع بين الوصفين بأنه أحمر لونه بسبب كالتعب وهو في الأصل أسمر (٣٠).

وقوله: (جعد)، (سبط الرأس): فصفة الجعودة هنا في الجسم لا في الشعر؛ لأنه وصف الشعر بالسبط، والسبط من الشعر المنبسط المسترسل، وهو ضد الجعد في الجسم فهو المجتمع الشديد (٥٠).

وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين عروة بن مسعود رضي الله عنه، فعن جابر رضي الله عنه، فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (عرض علي الأنبياء، فإذا موسى ضرب من الرجال، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى ابن مريم عليه السلام، فإذا أقرب من رأيت به شبهًا عروة بن مسعود)(٢).

<sup>(</sup>٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، ١/ ١٥١، رقم ١٦٥.



<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (واذكر في الكتاب مريم)، ٤/ ١٦٦، رقم ٣٤٣٨.

<sup>(</sup>٢) أخرَّجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (واذكر في الكتاب مريم)، ٤/ ٢١، رقم . ٣٤٤٠

<sup>(</sup>٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٦/ ٤٨٦.

<sup>(</sup>٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢/ ٣٣٤.

<sup>(</sup>٥) انظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير ١/ ٢٧٥، لسان العرب، ابن منظور ٣/ ١٢٢.

# ذكر عيسى عليه السلام في القرآن الكريم

ورد ذكر عيسى عليه السلام في القرآن الكريم (٢٥) مرة، في (١١) سورة. وأما قصته عليه السلام فقد وردت في السور الآتية:

الآيات	السورة
74-50	آل عمران
177-171,109-107	النساء
111-11.657	المائدة
77-37	مريم
70-78	الزخرف
18.7	الصف

#### التعريف بمريم عليها السلام

# أولًا: اسمها ونسبها:

ورد في القرآن انتساب مريم والدة عيسى إلى عمران عليهم السلام: ﴿ وَمَرْبَحُ ٱبْنَتَ عِمْرَنَ ﴾ [التحريم: ١٢].

أبوها: هو عمران الرجل العابد الطاهر وهو من رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم (١)، يصل نسبه إلى النبي الكريم داود عليه السلام.

وأمها: هي حنة العابدة الطاهرة التي كرمها الله فأجاب دعوتها ورزقها بمريم.

وزوج أختها أو زوج خالتها «أشياع» هو زكريا النبي الكريم عليهم السلام جميعًا.

فلا ريب حينئذ أن يكون هذا البيت المبارك بيت آل عمران من البيوت القليلة المباركة التي حظيت بتشريف الله تعالى لها بقوله: ﴿ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَحَ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَنَ عَلَى ٱلْعَلَيْدِينَ اللَّهِ عُمْرُهَا مِنْ بَعْضِلُ وَٱللَّهُ سَمِيعً عَلِيمً الله عمران: ٣٣ – ٣٤].

# ثانيًا: الحمل بمريم عليها السلام:

أشار الله تعالى لقصة حمل أم مريم بها ووضعها في قوله: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّدًا فَتَقَبَّلُ مِنِّ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيمُ ٱلْقَلِيمُ ﴿ اللهِ فَلَمَا وَضَعَتْهَا قَالَتَ رَبِّ إِنِي وَضَعْتُهَا أَنْنَى وَٱللّهُ أَعْلَرُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكُرُ كَٱلْأُنثَى فَي إِنِي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِي أَعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَنِي ٱلرَّحِيمِ ﴿ الله عمران: ٣٥ - ٣٦].

# ثالثًا: الوضع والوفاء بالنذر:

لما حملت أم مريم عليهما السلام حررت ما في بطنها، وكانت لم تعلم بعد ما هو ذكر أم أنثى، والمحرر عندهم لا يعمل للدنيا ولا يتزوج ويتفرغ لعمل الآخرة ويعبد الله، فيجعل للمعبد يقوم بخدمته ولا يخرج منه (٢)، ولم يكن يحرر إلا الغلمان.

ثم مات عمران وحنة حامل بمريم، فلما وضعت إذ هي أنثى، فقالت عند ذلك: ﴿رَبِّ إِنِّي

انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير ١/٢٢٨.



<sup>(</sup>١) انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير ١/ ٢٢٨.

<sup>(</sup>٢) وقيل: لا يبرح منه حتى يبلغ الحلم، فإذا بلغ خير، فإن أحب أن يقيم فيه أقام، وإن أحب أن يذهب ذهب حيث شاء.

وَضَعْتُهَا أَنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَرُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأَنْثَىٰ ۖ وَإِنِّ سَمَّيْتُهَا مَرْيَعَ وَإِنِّ أَعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَيٰ الرَّجِيعِ ﴿ ۞ ﴾ [آل عمران: ٣٦].

و(مريم) معناه: العابدة<sup>(١)</sup>.

وقد استجاب الله دعاء أم مريم هذا كما أجابها حين اشتهت الحمل، فأعاذها مريم وابنها من الشيطان، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخًا من مس الشيطان، غير مريم وابنها) ثم يقول أبو هريرة: ﴿وَإِنّ أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّرَتَهَا مِن الشّيطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران: ٣٦](٢).

# رابعًا: مكانة مريم عليها السلام وفضلها:

لمريم عليها السلام مكانة كبيرة تمتاز بها عن سائر نساء العالمين، فقد وضع الله مريم بين أهل الصلاح والنقاء، فترعرعت ونشأت في جو إيماني طاهر عفيف، وقد بين الله تعالى فضلها ومكانتها في مواطن من كتابه، كما جاء ذلك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن دلائله:

- ت قبول الله تعالى لها، وإنباتها نباتًا حسنًا. قال تعالى: ﴿ فَنَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنِ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ [آل عمران: ٣٧].
- إعاذتها وذريتها من الشيطان الرجيم. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ أَعِيدُهَا بِكَ وَدُرِّيَّتُهَا مِنَ الشَّيْطَنِ الشَّيْطَنِ
   الرَّجِيمِ اللَّهِ الله عمران: ٣٦].
- كفالة نبي الله زكريا عليه السلام لها بعد أن تنازع الأحبار العباد في حق رعايتها والقيام بشؤونها. قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقَلْنَهُمْ أَيُّهُمْ يَكُفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامُهُمْ أَيّهُمْ يَكُفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَلْقُونَ أَقَالَ وَضعتها أمها عند المسجد، فتنازعوا فيها، كل يريد أن يكفلها، فهي بنت (عمران) إمام من كبار أثمتهم، فقال زكريا عليه السلام: أنا أحق بها، وأراد أن يؤثرها لنفسه دونهم من أجل أن زوجته أخت أمها أو خالتها على القولين، فشاحوه في ذلك، وطلبوا أن يقترع معهم، فوقع الاقتراع على زكريا عليه القولين، فشاحوه في ذلك، وطلبوا أن يقترع معهم، فوقع الاقتراع على زكريا عليه المهاهم المؤلفة المؤلف

وانظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير ١/ ٢٢٨، البداية والنهاية، ابن كثير ٢/ ٥٧.

<sup>(</sup>١) انظر: تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٠، المختصر في أخبار البشر، عماد الدين أبو الفداء ١٩/١.

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب: (وإني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم)، رقم ٢ /٢ ، ٤٥٤ . ٣٤ /٦ .

- السلام، فأخذها وكفلها: ﴿ فَنَقَبَّلُهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلُهَا زَكِّرَيّاً ﴾ [آل عمران: ٣٧]. وضمها إلى زوجه أم يحيى، واسترضع لها حتى كبرت(١).
- عناية الله بها: فقد كان زكريا يدخل على مريم عليهما السلام فيجد عندها رزقًا لم يأتها به، فيسألها من أين لك هذا؟! فتقول: هو من عند الله، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخُلَ عَلَيْهَا رَزَقًا لَا يَعَرَيْمُ أَنَّى لَكِ هَنْاً قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهُ أَنَّ اللهُ يَرَدُقُ مَن يَشَاهُ وَرَبِي اللهُ عَنْدَا اللهُ عَنْ اللهُ الكرامات وخوارق العادات (٢).
- اصطفاؤها وتطهيرها: ﴿ وَلِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَيْكِ كُمُ يَكُمْرِيمُ إِنَّ ٱللَّهُ ٱصْطَفَىكِ وَطَهَرَكِ وَأَصْطَفَنكِ عَلَى يَسَلُهِ ٱلْمَعْلَمِينَ (اللهُ عَمِران: ٤٢].
- حملها بعيسى عليه السلام وهو النبي الكريم المتصف بمعالي الصفات. قال تعالى:
   إِذْ قَالَتِ الْمَلَتِكَةُ يَنَمُرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةِ مِنْهُ السَّمُهُ الْسَيِعُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهَا فِي الدُّنِيا وَالْآئِيرَةِ وَمِنَ الْمُعَرِّمِينَ (عَلَيْ) [آل عمران: ٤٥].
- انتساب ولدها إليها: فمريم هي الأنثى الوحيدة في الوجود كله التي اختصها الله من بين النساء، فنسب إليها ولدها وذلك في مواطن كثيرة من القرآن، منها قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى أَبْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتِ وَأَيَّدْنَكُ بِرُوجِ الْقُدُسِ ﴾ [البقرة: ٨٧]، ﴿اَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى آبْنُ مَرْيَمَ وَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ وَالْقَدُهِ آلِقَهُ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَكَلِمَتُهُ وَالْقَدُهِ آلِقَهُ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَي [النساء: ١٧١].
- جعلها وابنها عليهما السلام آية من آيات الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَهَا وَٱبْنَهَا ءَايَةً لَا الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللهُ عَالَى اللهُ عَالَى اللهُ عَلَيهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ عَالَى اللهُ عَلَيهُ اللهُ وَاللهُ عَلَيهُ اللهُ عَلَيهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيهُ عَلَيهُ اللهُ عَلَيهُ اللهُ عَلَيهُ اللهُ عَلَيهُ اللهُ عَلَيهُ اللهُ عَلَيهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيهُ اللهُ عَلَيهُ اللهُ عَلَيهُ اللهُ عَلَيهُ اللهُ عَلَيهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ عَا عَلَيْهُ عَا عَلَيْهُ ع
  - (١) وذهب بعض العلماء إلى كونها لم ترضع ثديا قط.
- انظر: تفسير السمعاني ١/ ٣١٤، الكشاف، الزمخشري ١/ ٣٨٦، البحر المحيط، أبو حيان ٢/ ٤٦١. (٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي ١/ ٨٠٥، الكشاف، الزمخشري ١/ ٣٦٨، المحرر الوجيز، ابن عطية ١/ ٣٦٨.



- الله صلى الله عليه وسلم: (كمل من الرجال كثيرٌ، ولم يكمل من النساء إلا السية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)(١).
- وعن علي رضي الله عنه: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (خير نسائها مريم ابنة عمران وخير نسائها خديجة)(٢).

<sup>(</sup>۱) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (وإذا قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه)، رقم ٣٤٣٣، ٤/ ١٦٤، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، رقم ٢٤٣١، ١٨٨٦.

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: (وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك)، ٤/ ١٦٤، رقم ٣٤٣٢.

#### حمل مريم بعيسى عليهما السلام

كان حمل مريم عليها السلام معجزة لم يكتب لها التكرار، فقد أراد الله تعالى لمريم البتول الطاهرة أن تحمل بابنها عيسى عليه السلام، هذا الحمل الذي هو معجزة كبرى وآية عظمي على قدرته جل جلاله، وهو بيان لمكانة هذه الطاهرة القانتة.

بين الله تعالى هذه القصة الغريبة، والمعجزة الباهرة في كتابه تعالى فقال: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمُلْتِكُةُ يُمَرِّيمُ إِنَّ أَلَهُ يُبَيِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱلسُّمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهَا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۞ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَّ ٱلْمُمَّدِلِمِينَ النَّاسَ فِي ٱلْمُمَّدِلِمِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدُ وَلَمْ يَمْسَسَنِي بَشَرُّ قَالَ كَذَاكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَلَّهُ إِذَا قَضَيْ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُرَكُن فَيَكُونُ ١٠٠٠ [آل عمران: ٤٥ -٤٧].

وقال: ﴿ وَٱذْكُرُ فِي ٱلْكِنْبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَدَتَ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا اللَّ فَٱلْخَذَت مِن دُونِهِمْ جِمَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرُاسُويًا اللهُ قَالَتَ إِنِّ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَانِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا اللهِ قَالَ إِنَّمَا أَنَّا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا اللهُ قَالَت أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَلَمَ يَمْسَشِنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا اللهِ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنُّ وَلِنَجْعَكُهُ وَايَدُ لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّأً وَكَاتَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا 💮 🍁 فَحَمَلَتُهُ فَأَنتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا فَصِيتًا ١٠٠٠

[مريم: ٢٦-٢٢].

إذًا فمريم قد حملت، وكان حملها بغير زواج وهي التقية النقية، بل كان من غير أن يمسها بشر أيًا كان، فقد أرسل الله تعالى إليها ملائكة تبشرها بهذه البشارة: الحمل بولد هو كلمة الله تعالى، واسمه: عيسى ابن مريم، وهذا الولد له الكثير من الميزات والخصائص التي انفرد بها عمن سواه، فكانت ردة فعلها وهي الطاهرة النقية البتول العذراء أن تساءلت كيف لها أن تحمل ولم يمسسها بشر، فأخبرت بأن هذه هي إرادة الله تعالى، وأن هذا الأمر هين على الله تعالى، وهو أمر قد قضاه وتكفل به، فما كان للطائعة القانتة إلا الاستسلام.

والملك المرسل إلى مريم هو جبريل -عند أكثر المفسرين- وقد تمثل لها على هیئة بشر سوی، فخافت مریم واستعاذت بالله منه ظانة به ظن سوء، لكنه أخبرها بأنه رسول من الله، كلف بيشارتها بأن الله سيهب لها غلامًا ذكر اسمه وصفته، فوصفه بأجمل الصفات وأثنى عليه عظيم الثناء(١).

أما عن كيفية الحمل فقد نفخ فيها نفخة فحملت بإذن الله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّيْ أَحْصِكُنَتْ فَيْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِكَا مِن زُّوجِنَا وَجَعَلْنَهُا وَآبِنَهَا ءَايَةً لِلْعَلَيِينَ (١٠)

<sup>(</sup>١) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي ٣/ ٣٨٧-

[الأنبياء: ٩١].

﴿ وَمَرْبَمُ ٱبْلَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِيّ أَحْصَلَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوجِنَا وَصَدَّفَتْ بِكَلِمَنتِ رَبِّهَا وَكُتُهُهِ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَلْنِيْنَ ﴾ [التحريم: ١٢].

قال الرازي رحمه الله: ذكر الله تعالى أمر النفخ في آيات فقال: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم: ١٢].

أي: في عيسى عليه السلام، كما قال لآدم عليه السلام: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوجِي ﴾ [الحج: ٢٩].

وقال: ﴿ فَنَفَخُنَا فِيهِ كَا مِن رُّوجِنَا ﴾ [الأنبياء: ٩١] لأن عيسى عليه السلام كان في بطنها.

واختلفوا في النافخ فقال بعضهم: كان النفخ من الله تعالى لقوله: ﴿فَنَفَخُنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم: ١٢].

وظاهره يفيد أن النافخ هو الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كُمَثَلِ مَادَمٌ خَلَقَكُهُ مِن ثُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿ آل عمران: ٩٥].

ومقتضى التشبيه حصول المشابهة إلا فيما أخرجه الدليل، وفي حق آدم النافخ هو الله تعالى؛ ﴿وَنَفَحْتُ مِنِهِ مِن رُوحِي ﴾ [الحجر: ٢٩] فكذا هاهنا.

وقال آخرون: النافخ هو جبريل عليه السلام؛ لأن الظاهر من قول جبريل عليه السلام: ﴿لِأَهَبَ لَكِ عُلَامًا زَكِيًا اللهِ اللهِ

[مريم: ١٩] أنه أمر أن يكون من قبله حتى يحصل الحمل لمريم عليها السلام، فلا بد من إحالة النفخ إليه(١).

واختلفوا في كيفية النفخ، هل نفخ الله في درعها؟ هل نفث الله في جيبها؟

وقد كفانا الله مؤونة البحث بقوله: ﴿ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيِّنَّ وَلِنَجْعَكَهُ عَالِيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنْنَأً وَكَاتَ أَمْرًا مَقْضِميًا ﴿ اللَّهِ المِيم: ٢١].

قال الشيخ محمد عبده رحمه الله: «أعلم أن الكافرين بآيات الله ينكرون الحمل بعيسي من غير أب جمودًا على العادات، وذهولًا عن كيفية ابتداء خلق جميع المخلوقات، ولو كان لهم دليل عقلي على استحالة ذلك لكانوا معذورين، ولكن لا دليل لهم إلا أن هذا غير معتاد، وهم في كل يوم يرون من شؤون الكون ما لم يكن معتادًا من قبل، فمنه ما يعرفون به سببًا ويعبرون عنه بالاكتشاف والاختراع، ومنه ما لا يعرفون له سببًا ويعبرون عنه بفلتات الطبيعة.

ونحن نرى علماء الغرب وفلاسفته متفقين على إمكان التولد الذاتي، أي: تولد الحيوان من غير حيوان، أو من الجماد، وهم يبحثون ويحاولون أن يصلوا إلى ذلك

<sup>(</sup>١) مفاتيح الغيب ٢١/ ٥٢٤.

وانظر: جامع البيان، الطبري ١٦٦/١٨، المحرر الوجيز، ابن عطية ٥/ ٣٣٥، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/ ١٧٣.

بتجاربهم، وإذا كان تولد الحيوان من الجماد جائزًا فتولد الحيوان من حيوان واحد أولى بالجواز وأقرب إلى الحصول.

نعم إنه خلاف الأصل، وأن كونه جائزا لا يقتضي وقوعه بالفعل، ونحن نستدل على وقوعه بالفعل بخبر الوحي الذي قام الدليل على صدقه.

إذا تمهد هذا فنقول: إن الله المسخر للأرواح المنبثة في الكائنات، وقد أرسل روحًا من عنده إلى مريم، فتمثل لها بشرًا، ونفخ فيها، فأحدثت نفخته التلقيح في رحمها، فحملت بعيسى عليه السلام »(١).

وصدق الشيخ رحمه الله، فالاستنساخ المعروف اليوم دليل إلى ما ذهب إليه من إمكان حصول الشيء المخالف للعادة، والبعيد عن التصور.

قال الله جل جلاله: ﴿ فَأَجَآءَ هَا الْمَخَاصُ إِلَى حِنْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلْلَتَنِي مِثُ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ مِنْ الله عَرْنِي النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلْلَتَنِي مِثُ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ مَسَيًا مَّ فَيْهَا آلَا تَعْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَعْنَكِ سَرِيًّا اللَّ وَهُزِى اللَّهِ مَنْ اللَّهُ مَلَى اللَّهُ مَا اللَّهُ مَلَى اللَّهُ اللَّهُ مَلَى اللَّهُ اللَّهُ مَلَى اللَّهُ مَلَى اللَّهُ اللَّهُ مَلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

﴿ وَجَعَلْنَا أَبُنَ مَرْيَمَ وَأُمَّتُهُ ءَايَةً وَءَاوَيْنَهُمَّا إِلَى

(۱) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا ۲0٤/۳.

رَبْوَةِ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينِ ١٥٠ [المؤمنون: ٥٠].

لما انتهت مدة الحمل أحست مريم عليها السلام ألم الوضع، فاحتضنت جذع النخلة لشدة ما تجد من الألم، وتمنت الموت حينئذ لما توقعته من أذى قومها، (وأنها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد، ولا يصدقونها في خبرها، وبعدما كانت عندهم عابدة ناسكة، تصبح عندهم -فيما يظنون عاهرة زانية) (٢)، فجاءها صوت من تحتها يطمئنها، ويطلب منها ألا تحزن، وأمرت بهز جذع النخلة والأكل مما فيها من الرطب، والشرب من جدول الماء، وعلمت طريقة التصرف إن رآها بشر أو تعرض لها أحد، فقد أمرت بالصوم عن الكلام.

والذي نادى مريم من تحتها: قيل: هو جبريل عليه السلام. وقيل: بل عيسى عليه السلام أنطقه لها حين وضعته تطييبًا لقلبها، وإزالة للوحشة عنها؛ حتى تشاهد في أول الأمر ما بشرها به جبريل عليه السلام من علو شأن ذلك الولد (٣)، وأيًّا كان فالقصد منه طمأنتها وإيناسها.

ومكان الربوة مكان ولادة عيسى عليه السلام قيل: الغوطة بدمشق. وهذا أشهر

<sup>(</sup>Y) دعوة عيسى في الكتاب والسنة ص٧.

<sup>(</sup>٣) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي ٣/٤، مفاتيح الغيب ٢١/ ١٧٤، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ١١٨.

الأقوال؛ لأن صفة الغوطة أنها ذات قرار ومعين على الكمال، وقيل: هي الرملة من فلسطين. وقيل: بأرض مصر. وقيل: الربوة بيت المقدس. ويترجح أن الربوة بيت لحم وهي قرية قريبة من بيت المقدس؛ لأن ولادة عيسى هنالك كانت، وحينئذ كان الإيواء(١). أما الصوم: فالمقصود به الصمت، صيانة لها عن الكلام مع المتهمين لها؛ ولأن عيسى عليه السلام تكلم عنها(١).

وأما حكمة خلق عيسى عليه السلام بلا أب فقد قال الشنقيطي رحمه الله: «من حكم خلقه عيسى من امرأة بغير زوج؛ ليجعل ذلك آية للناس، أي: علامة دالة على كمال قدرته، وأنه تعالى يخلق ما يشاء كيف يشاء، إن شاء خلقه من أنثى بدون ذكر كما فعل بعيسى، وإن شاء خلقه من ذكر بدون أنثى كما فعل بحواء، وإن شاء خلقه بدون الذكر والأنثى معًا كما فعل بآدم، وإن شاء خلقه من ذكر وأنثى كما فعل بآدم، وإن شاء خلقه من ذكر وأنثى كما فعل بسائر بني آدم، فسبحان الله العظيم القادر على كل شيء» (٣).

وقصة الحمل بعيسى عليه السلام وقصة ولادته دليل على بشريته عليه السلام.

مواجهتها لقومها: بعد ذلك كله جاءت

مواجهتها لقومها التي أخبر الله سبحانه وتعالى عنها بقوله: ﴿فَأَتَتَ بِدِ فَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ فَأَلَقُ بِدِ فَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ فَأَلُوا يَكَمْرْيَكُ لَقَدْ حِثْتِ شَيْئًا فَرِيًا ﴿ يَكَأَخْتَ هَنْرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ آمْرَأَ سَوْهِ وَمَا كَانَ أُمْكِ بَغِينًا هَنْرُونَ مَا كَانَ أُمْكِ بَغِينًا هَنْرُونَ مَا كَانَ أُمْكِ بَغِينًا هَنْرُونَ مَا كَانَ أُمْكِ بَغِينًا هِنْ وَمَا كَانَ أُمْكِ بَغِينًا هِنْ وَمَا كَانَ أُمْكِ بَغِينًا هِنْ اللهِ اللهُ اللهِ الله

جاءت مريم إلى قومها وهي تعلم براءة نفسها ونزاهتها، وهي واثقة من تبرئة الله سبحانه وتعالى لها، قال لها قومها تلك المقولة، وعجبوا من ذلك وهي من أهل بيت طيب طاهر معروف بالصلاح والزهد والعبادة، فلم تتول هي الإجابة لنفي التهمة عنها، ولكنها أشارت إلى وليدها، وهي تعلم أنه ليس من أهل الكلام حتى يتولى الرد عنها ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكِلِّمُ مَن الربيم: ٢٩].

ومن الملاحظ أن عيسى عليه السلام لم يرد مباشرة على التهمة الموجهة لأمه، بل إن مضمون كلامه فيه ردٌ قويٌ عليهم بما

<sup>(</sup>١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ٢/١٤٥، المختصر في تاريخ البشر، عماد الدين أبو الفداء ١٩/١.

<sup>(</sup>٢) إنظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي ٣/ ٤،

<sup>(</sup>٣) أضواء البيان ٣/ ٨٩٪.

زعموا، فإن الله سبحانه وتعالى لا يعطي الكتاب والنبوة لولد من زنى، إضافة إلى ما وهبه الله من الأوصاف الجميلة التي توحي ببركته ونزاهة أمه وطهارتها(١).

#### حوارات عيسى عليه السلام

أولًا: حوار عيسى عليه السلام مع ربه عز وجل:

عيسى عليه السلام نبي الله تعالى ورسوله، فهو واحد من الأنبياء الذين أرسلهم الله لهداية البشر، ورسول تعتبر تعاليمه ورسالته تكملة وامتدادًا لتعاليم الرسل الذين جاؤوا من قبله، وتهيئة للتعاليم التي سيأتي بها النبي صلى الله عليه وسلم (۲).

﴿ وَمَا آَرْسَلْنَكَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولِ إِلَّا فَرُحِينَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَآ إِلَهُ إِلَّا أَنَا فَأَعَبُدُونِ ۞ ﴾ وَأَنْ فَأَعَبُدُونِ ۞ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوةٌ لعلاتٍ أمهاتهم شتى ودينهم

<sup>(</sup>١) انظر: دعوة عيسى عليه السلام في الكتاب والسنة ص٨- ٩.

<sup>(</sup>٢) انظر: عيسى المسيح والتوحيد ص٢٢١.

واحدٌ)(١).

وعن قتادة رحمه الله: أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد، لا يقبل منهم عمل حتى يقولوه ويقروا به، والشرائع مختلفة، في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي القرآن شريعة، حلال وحرام، وهذا كله في الإخلاص لله والتوحيد له (۲).

فالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هم أصحاب الدعوة إلى التوحيد، وأهم أكثر البشر التزامًا بهذه الدعوة وتحقيقًا لها، ومنهم عيسى ابن مريم عليهما السلام الذي وصفه ربه عز وجل بأنه من الصالحين: ﴿وَيُكِلِّمُ النَّاسُ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهُلًا وَمِنَ ٱلصَّلِمِينَ ﴿ وَالْ عَمْرِانَ ٤٤].

ومن اتصف بالصلاح كان قدوة حسنة لمتبعيه.

وقد ظهر إجلاله عليه السلام لربه تعالى، وإخلاصه له، وعبوديته، فها هو يدعو قومه إلى التوحيد، ويبين لهم عاقبة الشرك: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَنْبَنِي إِسْرَهِ مِنْ ٱعْبُدُوا ٱللّهَ رَبِي وَرَبَّكُمُ إِنَّهُ مَن يُشْرِف بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَلُهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّلِمِينَ مِنْ أَنْسَارُ وَمَا اللَّهُ وَمَا اللَّهُ اللَّهُ وَمَا لِلطَّلِمِينَ مِنْ أَنْسَارُ وَمَا لِلطَّلِمِينَ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ الْمَائِدة: ٢٧].

﴿ وَلَنَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِنْ تُكُرُّ

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١٧/ ١٥.

الْحِكْمَةِ وَلِأُبَيْنَ لَكُمُ بَعْضَ الَّذِى تَعْنَلِفُونَ فِي قَاتَفُوا اللَّهَ وَالطِيعُونِ ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُو رَبِّي وَرَبُّكُو فَاعْبُدُوهُ هَلَذَا صِرَطُ مُسْتَقِيمٌ ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُو رَبِي وَرَبُّكُو مَاعْبُدُوهُ هَلَذَا صِرَطُ مُسْتَقِيمٌ ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُو رَبِي وَالزخوف:

وقد حكى الله تعالى حوارًا يكون بينه عز وجل وبين عيسى عليه السلام، يقر فيه عيسى عليه السلام، وافتقاره إلى الله تعالى، وأنه اجتهد وأخلص في دعوة قومه إلى التوحيد، وإفراد العبادة لله سبحانه، رغم ما حصل من انحراف بعضهم، وتأليههم لعيسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَنعِيسَى ابْنَ مَرْيَمُ اللّهُ قَالَتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ الْقَيْدُونِ وَأَثِى إِلَاهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ قُلْتَ لِلنَّاسِ الْقَيْدُونِ وَأَثِى إِلَاهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَنكَ مَا يَكُونُ لِي آنَ أَقُولَ مَا لَيْسَ لَى يَحْوَقُ إِلَى اللّهُ مَا فِي نَفْسِى وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِلَى أَنتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ نَفْسِى وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِلَى أَنتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ اللّهَ مَا قُلْتُ مَا فِي نَفْسِكَ إِلَى أَنتَ عَلَيْمُ الْغُيُولِ اللّهَ وَرَبَّكُمْ وَكَنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلْمَا مَنْ وَرَبِّكُمْ وَكُمْتُ فِيهِمْ فَلْمَا مَنْ مَنْ عَلَيْهِمْ وَرَبَّكُمْ وَلَا اللّهُ هَلَا يَقِمُ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلْمَا مَنْ وَرَبِّكُمْ وَرَبَّكُمْ وَرَبُومَ اللّهُ هَلَا يَوْمُ مَنْ اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ عَلَيْهُمْ عَبَادُكُ وَإِن تَغَيْرُ لَكُولِكُ مَنْ وَلَا اللّهُ هَلَا يَوْمُ اللّهُ عَلَيْهُمْ وَرَفُواعَنَهُ وَلِي اللّهُ عَنْهُمْ وَرَفُواعَنَهُ وَلِكَ اللّهُ مَنْ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَفُواعَنَهُ وَلِكَ النّهُ مَنْ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَفُواعَنَهُ وَلِكَ اللّهُ مَنْ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ هُولَاكُ السَمَونِ وَالْأَرْضِ وَمَا اللّهُ وَلَا اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

قال جمهور المفسرين: هذا القول يكون

<sup>(</sup>۱) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (واذكر في الكتاب مريم)، ١٦٧/٤، رقم ٣٤٤٢.

من الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق؛ لأن عبادة النصارى لعيسى عليه السلام حدثت بعد رفعه، والمراد به توييخ النصارى، وتبرئة عيسى عليه السلام مما نسبوه إليه، فيقول الله هذا الكلام لعيسى عليه السلام، فيتبرأ عيسى عليه السلام، فيتبرأ عيسى عليه السلام ويقول: سبحانك عن هذا الكلام القبيح، وعما لا يليق بك.

وقد تقدم في هذه السورة ما يثبت براءة عيسى عليه السلام من مثل هذه المقالة، وذلك قوله: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ اللَّذِينَ قَالُواً إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَدٌ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَنْبَيْنَ إِسْرَهِ بِلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكُ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الْجَنّة وَمَأْوَلَهُ يُشْرِكُ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الْجَنّة وَمَأْوَلَهُ النّارُ وَمَا لِلظّليمِينَ مِنْ أَنصَادٍ النّاسُ السّائدة: ٢٧] [المائدة: ٢٧] [المائدة: ٢٧]

ثانيًا: حوار عيسى عليه السلام مع بني إسرائيل:

بدأ عيسى عليه السلام حواره مع قومه وهو في المهد، فقد رد عن أمه بقوله: ﴿ فَأَشَارَتَ إِلَيْهُ قَالُواْ كَيْفَ نُكِلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيتًا ﴿ قَالُواْ كَيْفَ نُكِلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيتًا ﴿ قَالَ إِنِي عَبْدُاللّهِ مَا تَنفِي ٱلْكِئْبَ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَلْنِي بِالصَّلْوَةِ وَالزَّكَوْةِ مَا دُمْتُ حَيًا ﴿ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُولَ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

(۱) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي ٢٥١/١ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٣٢/٣ البحر المحيط في التفسير، أبو حيان ٢٣٢/٤، التحرير والتنوير ١١٢/٤.

وَيَبَرُّا بِوَلِيَ قِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿ اللهِ وَلَهُمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمَ وُلِدِتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أَبُعثُ حَيًّا ﴿ اللهِ عَلَى يَوْمَ أَبْعَثُ حَيًّا ﴿ اللهِ عَلَى يَوْمَ أَبْعَثُ مَا اللهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى

وكان عيسى عليه السلام قد بعث لدعوة بني إسرائيل خاصة.

قال تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِنَّ بَنِيَ إِسْرَاهِ يِلَ أَنِّ قَدَّ عِبْدَ إِسْرَاهِ يِلَ أَنِّ قَدْ عِبْدُ اللَّهُ عَلَمْ عِنْدُ مِنْ تَبِعَثُمْ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

فدعاهم عليه السلام إلى التوحيد، وإلى إخلاص العبادة لله تعالى وحده: ﴿ إِنَّ اللهَ رَبِّكَ وَرَبُّكُمْ مُلْقَابُدُوهُ هَنذَا صِرَطُ مُسْتَقِيمُ وَلَا صِرَطُ مُسْتَقِيمُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ المِلْمُلْمُ المَالِمُلْمُلْمُ اللهِ اللهِ اللهِ المَالِمُ اللهِ ا

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ يَنْبَيْ إِسْرَةِ يِلَ الْمَسَيحُ يَنْبَيْ إِسْرَةِ يِلَ الْمَسِيحُ يَنْبَيْ إِسْرَةِ يِلَ الْمَسْيحُ يَنْبَيْ إِسْرَةِ يِلَ الْمَسْدُواْ اللّهَ رَبِي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِفَ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةُ وَمَأْوَنَهُ النَّالُ وَمَا لِنَقَدَ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةُ وَمَأْوَنَهُ النَّالُ وَمَا لِلظَّلْلِيلِينَ مِنْ أَنْصَارِ الله (المائدة: ٢٧]. للظَّلْلِيلِينَ مِنْ أَنْصَارِ الله (المائدة: ٢٧]. ﴿ وَإِنَّ اللّهُ رَبِي وَرَثِكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَطُ اللّهُ مَنْ اللّهُ رَبِي وَرَثِكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَطُ أَسْتَقِيمٌ (٣) ﴿ [مريم: ٣٦].

﴿ إِنَّ أَلَكَ هُو رَقِي وَرَقِكُو فَأَعَبُدُوهُ هَنَذَا صِرَطُ مُ مُنَدًا صِرَطُ مُ مُسْتَقِيمً ﴿ الزخرف: ٦٤].

وكان عيسى عليه السلام قد أرسل مقررًا لشريعة موسى عليه السلام في التوراة، مع ما جاء به في الإنجيل، قال تعالى: ﴿وَمُمَرِيّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَى مِن التّورَيدة وَلِأُمِلَ لَكُم بَعْنَ الذِي حُرِّمَ عَلَيْكُم وَ وَمِثْ تُكُر مِاية مِن بَعْضَ الذِي حُرِّمَ عَلَيْكُم وَ وَمِثْ تُكُر مِاية مِن بَعْضَ الذي حُرِّمَ عَلَيْكُم وَ وَمِثْ تُكُر مِاية مِن بَعْضَ الله وَأَمِلِيعُونِ (﴿) \* [آل عمران: وَرَالَ عَمْران: ٥٠].

كما تضمنت دعوة عيسى عليه السلام البشارة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِسَى آبَنُ مَرْمَمَ يَنَبَيْ إِسْرَهِ مِلَ إِنِّ رَسُولُ اللهِ لِيَ رَسُولُ اللهِ إِنِّ رَسُولُ اللهِ إِنِّكُمْ مُصَدِّقًا لِيَّا بَيْنَ يَدَى مِنَ ٱلنَّوْرَنَةِ وَمُبَشِّرًا مِسُولٍ يَأْقِى مِنْ بَعْدِى آسَمُهُ وَأَحَدُ ﴾ [الصف: ٢].

واتخذ عيسى عليه السلام من قومه أنصارًا، قال تعالى: ﴿ ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَون مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِى إِلَى ٱللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ فَعَنْ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنّا بِاللَّهِ وَٱشْهَدَ الْحَوَارِيُّونَ فَعَنْ أَنصَارُ ٱللّهِ ءَامَنّا بِاللّهِ وَٱشْهَدَ اللّهِ عَامَنّا بِاللّهِ وَٱشْهَدَ إِلَّا مُسْلِمُونَ فَيْنُ أَنصَارُ ٱللّهِ عَامَنّا بِاللّهِ وَٱشْهَدَ إِلَّا عَمِران: ٥٢].

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَفْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِسَى اَبْنُ مَرَّيَمَ لِلْحَوَارِتِينَ مَنْ أَفْصَارِيَ إِلَى اللَّهِ قَالَ عِسَى اَبْنُ مَرَّيَمَ لِلْحَوَارِتِينَ مَنْ أَفْصَارِيَ إِلَى اللَّهِ قَالَ الْمُؤَارِيُّونَ فَعَنُ أَفْصَارُ اللَّهِ فَتَامَنَت طَابَهَةٌ مِنْ بَغِت لِمُمَوَّا مِنْ فَعَنْ أَفْصَارُ اللَّهِ فَتَامَنَت طَابَهَةٌ مِنْ بَغِت إِلَيْنَ مَامَنُوا عَلَى عَدُوهِم فَاصَبَحُوا طَهِمِينَ اللَّهُ اللَّهِينَ اللَّهُ اللَّهِينَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ الْمُعْلَى اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُؤْمِ اللْمُؤَالِولُولُولُولُ اللَّهُ الللْمُؤَالِمُ اللَّهُ اللْمُؤْمِلُول

فطلب النصرة ليحتمي بها من قومه، ويظهر الدعوة. وهذه سنة الله في أنبيائه وأوليائه، وقد قال لوط عليه السلام: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ فُوَّةً أَوْ ءَاوِئَ إِلَى رُكُنِ شَدِيدٍ ﴿ اللهِ المِدِيدِ ﴿ اللهِ اللهُ اللهُو

أي: عشيرة وأصحاب ينصرونني (١٠). وكان من أساليبه عليه السلام أن دعاهم بالحكمة، قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِئْبَ وَٱلْمِحْمَةَ وَٱلْمَوْرَئِةَ وَٱلْإِنِيلِ (١٤) [آل عمران: ٤٨].

وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْمِكْمَةَ وَٱلْمِكْمَةَ وَٱلْمِكْمَةَ وَٱلْمِنْدَة وَٱلْمِنْدِة (١١٠].

وبالموعظة: قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْمَلُونَ الْمَوْسَدَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآيِدَةً مِّنَ السَّمَلَةِ قَالَ التَّقُوا اللهَ إِن كُنْتُم مُُوَّمِينِ نَ اللهَ إِن كُنْتُم مُوَّمِينِ اللهَ اللهَ إِن كُنْتُم مُوَّمِينِ اللهَ اللهَ إِن كُنْتُم مُوَّمِينِ اللهَ اللهِ اللهَ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ إِن كُنْتُم مُوَّمِينِ اللهُ ال

قال الإمام الطبري رحمه الله: "وأما قوله: ﴿وَأَمَا قُولِهِ: ﴿وَاللَّهُ إِن كُنتُم مُّؤَمِنِينَ ﴾ فإنه يعني: قال عيسى للحواريين القائلين له: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنزِّلُ عَلَيْنَا مَآيِدَةً مِن السَمَآءِ ﴾: راقبوا الله أيها القوم، وخافوا

<sup>(</sup>۱) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي / ۲۵۱، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير / ۲۳۲، البحر المحيط في التفسير، أبو حيان ۲۲۲/۶، التحرير والتنوير ۱۱۲/۷.

<sup>(</sup>٢) تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٦٦.

أن ينزل بكم من الله عقوبة على قولكم هذا، فإن الله لا يعجزه شيء أراده، وفي شككم في قدرة الله على إنزال مائدة من السماء كفر به، فاتقوا الله أن ينزل بكم نقمته وإن كُنتُم مُّوِّمِين في (١٠).

واستعمل معهم الترغيب والترهيب: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَنَهِ إِسْرَهِ مِنَ ٱعْبُدُواْ اللّهَ رَبِي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكَ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهَ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهَ عَلَيْهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ ال

فكان من قوم عيسى عليه السلام فئة معتدلة، آمنت به واتبعت دعوته، قال تعالى: 
﴿ ﴿ فَلَمَّا اَحْسَ عِيسَول مِنْهُمُ الْكُفْر قَالَ مَنْ اَنْعَمَارِيَ إِلَى اللَّهِ قَالَ الْمَنْ اَنْعَمَارُ الْمُورِيُّون فَمْنُ أَنْعَمَارُ اللَّهِ عَامَنًا بِأَلَّهِ وَالشَّهِدُ بِأَنَّا مُسْلِمُون اللَّهُولَ اللَّهُ وَالشَّهِدُ بِأَنَّا مُسْلِمُون اللَّهُ وَالشَّهِدِ فَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَال

﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوْا أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمٌ لِلْحُوارِيْفِنَ مَنْ أَنصَارِى إِلَى ٱللَّهِ قَالَ الْمُوَارِيُّونَ مَنْ أَنصَارِى إِلَى ٱللَّهِ قَالَ الْمُوارِيُّونَ مَعْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَعَامَنت ظَالَهِفَةٌ مِنْ بَغِت إِسْرَةِ مِلْ وَكُفْرَت ظَالِهَةٌ فَأَيَّدُنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوهِم فَأَشْبَحُوا ظَهِوِينَ اللَّهِ [الصف: 12].

ومنهم فئة مفرطة كفرت ولم تؤمن: ﴿ فَنَامَنَتَ ظُلَهِفَةً مِنْ بَنِي إِسْرَةَ بِلَ وَكَفَرَتَ ظُلَهِفَةً ﴾ [الصف: ١٤].

وثالثة أفرطت في حقه عليه السلام، وخالفت دعوته، فقالوا مرة: بأنه هو الله، وقالت أخرى: بأنه ابن الله، وثالثة: بأنه ثالث ثلاثة، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

وقد رد الله تعالى في كتابه كل هذه الادعاءات؛ سعيًا إلى بيان الحقيقة وتصحيحًا للعقيدة، فاستنكر كون المسيح إلهًا، وشنع على من قال بأنه ابن الله، كما رفض عقيدة التثليث (٢).

<sup>(</sup>٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٤/ ٩٧.

<sup>(</sup>۱) جامع البيان ٧/ ١٣١.

# ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُنَيْرٌ أَبَنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَدَرَى الْمَسِيحُ أَبْثُ اللَّهِ ذَالِثَ قَوْلُهُم بِأَفْوَهِ لِمَ يُمَّ يُضَافِئُونَ قُولَ ٱلَّذِينَ

كَفَرُواْ مِن فَبْلُ قَلَنْلَهُمُ اللَّهُ أَنَّك يُؤْفَكُونَ التوبة: ٣٠].

﴿ يَكَأَهُلَ ٱلْكِتَابِ لَا تَمْنُلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَـقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى أَبْنُ مَرِّيمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥ ۚ أَلْقَنَهُمَا ۚ إِلَىٰ مَرْيَمُ وَرُوحٌ مِّنَةً فَتَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِّهِ. وَلَا تَقُولُواْ ثَلَنَّهُ ۖ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحِدُّ شُبْحَنَّهُ أَن يَكُونَ لُهُ، وَلَدُّ لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَوَتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ١٠٠٠ [النساء: .[17]

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةُ وَمَا مِنْ إِلَهِ إِلَّا إِلَهٌ وَحِدٌّ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ آلِيدُ ﴿ الْمَائِدةِ: ٧٣](١)(٢).

(١) جامع البيان ٧/ ١٣١.

(٢) والحق الذي جاء في القرآن عن حقيقة المسيح عليه السلام أنه مخلوق كبقية البشر، هو الذي جاء في الإنجيل، فقد جاء فيه: أن المسيح ولد بعد أنَّ لم يكن شيئًا انظر: لوقا ٢: ٤-٧، ومتى ٢: ١-٦، وختن بعد أن كان أغلف انظر: لوقا ٢: ٢١، وكان يصلى ويجتهد في عبادة الله انظر: لوقا ۹: ۱۸، ۲۸، ۲۹، ومتی ۱٤: ۲۲، وشب واكتهل بعد أن كان صبيًا انظر: لوقا ٢: ٤٢، ٣: ٢٣، وجاع فأكل انظر: متى ٤: ٢، ٢٦: ١٧ – ٢٥، ومرقس ١١: ١٢، ١٤: ١، ١٤: ١٢ - ٢٦ ، لوقا ١٤: ١، يو حنا ١٣: ١ - ٤ ، وعطش ثم شرب انظر: يوحنا ٤: ٧-١٠،

#### معجزات عيسى عليه السلام

عيسى عليه السلام نبي الله ورسوله: ﴿ إِلَّ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كُلِّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَمَاتَيَّنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَهُ ٱلْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَكُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوَ شَاآة اللهُ مَا اقْتَتَلُ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِم مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَيِنْهُم مَّنْ عَامَنَ وَمِنْهُم مِّن كُفَرُّ وَلَوْ شَاكَة ٱللَّهُ مَا ٱقْتَــ تَلُوا وَلَكِنَّ أَلَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ اللَّهِ اللَّهِ [البقرة: ٢٥٣]. وقد أيد الله أنبياءه ورسله بالمعجزات

الباهرات، والآيات الظاهرات، الدالة على صدقهم فيما جاؤوا به من عند الله عز وجل. والمعجزة: فعل يظهر على يدي مدعى النبوة، بخلاف العادة، في زمان التكليف، موافقًا لدعواه، وهو يدعو الخلق إلى معارضته، ويتحداهم أن يأتوا بمثله فيعجزوا عنه؛ فيبين به صدق ما يظهر على يده (٣).

ومشي ثم تعب فجلس انظر: متى ٥: ١، ١٣: ١-٢، يوحنا ٤: ٧، وركب الجحش في البر والسفينة في البحر انظر: متى ٥: ١، ١٣: ١-٢، يوحناً ٤: ٧، وبصق على الأرض انظر: مرقس ۷: ۳۳، ۸: ۲۳، یوحنا ۹: ۲، وکان يحزن فيبكي انظر: مرقس ١٤: ٣٣- ٣٤، لوقا ١٩: ٤١، وُغير ذلك من الصفات التي تدل على أنه مخلوق مثل بقية البشر، لا يتختلف عنهم، إلا أن الله اصطفاه بالرسالة كغيره من الرسل، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين انظر: المسيح عيسي ابن مريم مصدق لما بين يديه من التوراة/ ١١ – ١٤.

(٣) التبصير في الدين، الإسفرائيني ص ١٦٩.

قال العلماء: إن الله تعالى جعل معجزات الأنبياء من جنس أبرع وأشهر ما يكون في زمانهم؛ ليكون أبلغ في التأثير على أقوامهم، وإظهار نبوتهم، فلما كان الغالب في زمان موسى عليه السلام هو السحر؛ جعل معجزته ما هو أقرب إلى طريقتهم، ولحما كان الغالب في أيام عيسى عليه السلام الطب؛ جعل معجزاته من جنس تلك الطريقة، فجاء عليه السلام بغرائب لا تعرف في أصول الطب، وكذلك لما كان الغالب في أيام الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في أيام الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الفصاحة والبلاغة؛ جعل معجزته ما كان لاتقاً بذلك الزمان، وهو فصاحة القرآن (١).

ومن معجزات عيسى عليه السلام: ١. خلق عيسى عليه السلام بغير أب.

وقد مرت بنا قصة حمل مريم بابنها عيسى عليه السلام.

كلام عيسى عليه السلام في المهد.

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَيْكَةُ يَكُمْرِيَهُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةِ مِنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْسَبِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهَا فِي ٱلدُّنِيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُعَرَّبِينَ

(۱) بل إن التأكيد على دعوة التوحيد ثابتة في كتبهم، ففي إنجيل يوحنا: «وهذه هي الحياة الأبدية، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته» يوحنا ١٧: ٣.ففي هذا النص التصريح بأن الله هو الإله الحق الذي لا إله غيره، بأن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله، فهو ليس إلهًا، ولا ابن إله، ولا ثالث ثلاثة كما تزعم النصاري.

وَيُكِيِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الشَّالِمِينَ (أَنَّ) [آل عمران: ٥٥-٤٦].

وَ إِذْ قَالَ اللهُ يَعِيسَى أَبْنَ مَرْيَمَ اَذْكُر نِمْمَقِى عَلَيْكَ وَعَلَى وَلِدَتِكَ إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوج الْقُدُسِ عَلَيْكَ وَعَلَى وَلِدَتِكَ إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوج الْقُدُسِ ثَكَيْدُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴾ [المائدة: ١١٠].

وَفَأَتَ بِهِ وَقَوْمُهَا تَعْمِلُهُ قَالُواْ يَهُوَيُهُ لَقَدَ مِثْنِهُ لَقَدَ مِثْنِهُ لَقَدَ مِثْنِهُ اللّهُ يَكُاخُتَ هَنُرُونَ مَا كَانَ أَمُكِ بَغِيّا الله قَالُونِ مَا كَانَ أَمْكِ بَغِيّا الله قَالُونِ مَا كَانَ أَمْكِ بَغِيّا الله قَالُونِ مَا كَانَ فَالْمَهُدِ صَبِيبًا الله قَالُ إِنِي عَبْدُ اللّهِ ءَاتَلِي ٱلْكِنْبُ وَجَعَلَنِي بَئِيتًا الله قَالُ إِنِي عَبْدُ اللّهِ ءَاتَلِنِي ٱلْكِنْبُ وَجَعَلَنِي بَئِيتًا الله وَجَعَلَنِي بَئِيتًا الله وَجَعَلَنِي بَئِيتًا الله وَجَعَلَنِي مُبَارِكًا أَيْنَ مَا حَمْثُ مَنَ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاقِ وَلَمْ وَجَعَلَنِي مُبَارِكًا أَيْنَ مَا حَمْثُ عَيَّا الله وَبَهُ وَالسَّلَامُ عَلَى وَبَعْ وَلَمْ وَيُومَ أَمُوتُ وَيَعْ مَ أَبْعَثُ حَيًّا الله وَالسَلَامُ عَلَى يَوْمَ وُلِدتُ ويَعْمَ أَمُوتُ ويَوْمَ أَبْعَثُ حَيًّا الله وَلِللّهِ وَلِللّهِ وَلِيهِ وَيَعْمَ أَمُوتُ ويَوْمَ أَبْعَثُ حَيًّا اللهُ وَالسَلَامُ عَلَى يَوْمَ وُلِدتُ ويَوْمَ أَبْعَثُ حَيًا الله وَاللّهُ وَاللّهُ اللهُ وَلِللّهُ وَلَا لَهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَيْ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا لَهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلّهُ وَلَا اللّهُ وَلِلْمُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِمُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِلْمُ اللّهُ وَلِمُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِلْهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِمُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِلْهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِلْهُ وَلِمُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِمُ اللّهُ وَلِمُ اللّهُ وَلِمُ الللّهُ وَلِمُ اللّهُ وَلِلْهُ اللّهُ وَلِمُ اللّهُ اللّهُ وَلِمُ الللّهُ وَلِمُ الللّهُ وَلِمُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ ال

إذًا فقد أنطق الله تعالى عيسى عليه السلام في مهده، دلالةً على براءة أمه مما قذفها به المفترون عليها، وحجة له على نبوته عليه السلام . والمهد: الحجر حجر أمه، أو موضع اضطجاع الصبي وقت تربيته (۲).

 أنه عليه السلام ينفخ في الطين فيكون روحًا بإذن الله.

قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيَ إِسْرَوَيلَ أَنِي قَدْ إِشْرَوَيلَ أَنِي قَدْ إِشْتَكُمْ بِتَايَةِ مِّن تَبِكُمُ أَنِيَ أَغَلُقُ لَكُم مِّن

<sup>(</sup>٢) انظر: عيسى المسيح والتوحيد، محمد عطا الرحيم ص ٢٢١ - ٢٣٠.

اللِّينِ كَهَيْتَةِ الطَّلْيِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيَّزًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

﴿ وَإِذْ تَعَلَّقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْءَ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ﴿ [المائدة: ١١٠].

فمن معجزات عيسى عليه السلام أنه يصور من الطين شكل طير، ثم ينفخ فيه، فيكون طيرًا حقيقيا ذا حياة، فيطير عيانًا بإذن الله عز وجل.

وقوله: ﴿إِذْنِ اللهِ عَز وجل لم يقدر على أنه لولا الإذن من الله عز وجل لم يقدر على ذلك، وأن خلق ذلك كان بفعل الله سبحانه، أجراه على يد عيسى عليه السلام، فكون عيسى عليه السلام، فكون عيسى عليه السلام خالقًا بيده، ونافخًا بفيه إنما هو ليبين تلبسه بالمعجزة، وأنها جاءت من قبله، وأما الإيجاد من العدم، وخلق الحياة في ذلك الطين فمن الله تعالى وحده لا شريك

(۱) والحق الذي جاء في القرآن عن حقيقة المسيح عليه السلام أنه مخلوق كبقية البشر، هو الذي جاء في الإنجيل، فقد جاء فيه: أن المسيح ولد بعد أن لم يكن شيئًا انظر: لوقا ٢: ٤ - ٧، ومتى ٢: ١١ - ٢، وختن بعد أن كان أغلف انظر: لوقا ١: ١٢، وكان يصلي ويجتهد في عبادة الله انظر: لوقا ٩: ١٨، ١٨، ١٩، ومتى ١٤: ٢٠، وشب واكتهل بعد أن كان صبيًا انظر: لوقا ٢: ٢١، ٣٤، ٣٠ وجاع فأكل انظر: متى ١٤: ٢٠ ١٤: ١٠ ومرقس ١١: ١١، ١٤: ١٠ - ٢٠، لوقا ١٤: ١٠ يوحنا ١١: ١٠ ١٤: ١٠ وعطش ثم شرب انظر: يوحنا ١٠-١٠، ومشى ومشى ومشى شم شرب انظر: يوحنا ١٠-١٠،

#### ٣. إبراء الأكمه والأبرص.

قال تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيَ إِسْرَهِ مِلَ أَنِي قَدْ حِشْتُكُمْ مِالِيَةِ مِنْ أَنِي قَدْ حِشْتُكُمْ مِالِيَةِ مَنْكُونُ مَنْ أَنِي قَدْ الطّينِ كَمَيْتُ وَلَيْكُونُ طَيْرًا الطّينِ كَمَيْتُ وَلَيْكُونُ طَيْرًا الطّينِ كَمَيْتُ وَالطّينِ اللّهِ وَاللّهُ وَالطّينِ اللّهِ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ

﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمُ اذْكُرْ يَعْمَقِى عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيْدَتُلُكَ بِرُوجِ الْقُدُسِ تُكَالِّمُ النّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَمْتُكَ الْكِتَنَبَ وَالْمِكْمَةَ وَالتَّوْرَنَةَ وَالْإِنِيلَّ وَإِذْ تَغَنَّكُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْهَ الطّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ﴾ [المائدة: ١١٠].

﴿وَأَبْرِئُ ﴾معناه: أزيل المرض يقال: برأ المريض وأبرأه غيره، ويقال: برىء المريض أيضًا.

﴿ اللَّحَمَدُ ﴾: هو الأعمى الذي لا يبصر شيئًا لا ليلًا ولا نهارًا. وهذا ما رجحه الطبري رحمه الله.

1-٢، يوحنا ٤: ٧، وركب الجحش في البر والسفينة في البحر انظر: متى ١: ١، ١٣: ١-٢، يوحنا ٤: ٧، وبصق على الأرض انظر: مرقس ٧: ٣٦، ١٠ ٤٠ يوحنا ١٩: ٦، وكان يحزن فيبكي انظر: مرقس ١٤: ٣٣- ٣٤، لوقا يعجزن فيبكي انظر: مرقس ١٤: ٣٣- ٣٤، لوقا على أنه مخلوق مثل بقية البشر، لا يختلف عنهم، إلا أن الله اصطفاه بالرسالة كغيره من الرسل، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين انظر: المسيح عيسى ابن مريم مصدق لما بين يديه من التوراة/ ١١- ١٤.

﴿وَالْأَبْرَمِي﴾: البرص، المرض المعروف(١).

وذكر هذين الداءين خاصة؛ لأن الاحتجاج على بني إسرائيل في معنى النبوة لا يقوم إلا بالإبراء من العلل التي لا يبرىء منها طبيب بوجه، إلا من أعطاه الله مثل الذي أعطى عيسى عليه السلام.

وقد روي أنه ربما كان يجتمع عليه ألوف من المرضى، من أطاق منهم أتاه، ومن لم يطق أتاه عيسى عليه السلام، وما يداوي إلا بالدعاء.

وكان الغالب على زمان عيسى عليه السلام الطب، فأراهم الله المعجزة في جنس علمهم (٢).

٤. إحياء الموتى.

قال تعالى: ﴿وَأُمِّي ٱلْمَوْتَى بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْفَى بِإِذْنِى ﴾ [المائدة: ١١٠].

كرر بإذن الله دفعًا لتوهم الألوهية، فإن الإحياء ليس من جنس الأفعال البشرية (٣).

- (١) التبصير في الدين، الإسفرائيني ص ١٦٩.
- (۲) انظر: المتحرر الوجيز، ابن عطية ٥٣/١ مفاتيح الغيب، الرازي ١٣/١٩.
- (٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٢/٤١٨، ١٨٩/١٨ المحرر الوجيز، ابن عطية ١٨٩/١٨، مفاتيح الغيب، الرازي ١٨٤٢، أضواء أنوار التنزيل، البيضاوي ١٧/٢، أضواء البيان، الشنقيطي ٥/٥٣٥.

 الإنباء بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم.

قال تعالى: ﴿ وَأُنْدِتُكُم بِمَا تَأْكُونَ وَمَا تَدَّخُونَ وَمَا تَدَّخُونَ وَمَا تَدَّخُونَ فَيَ اللهِ تَدُيْكُ لَكُمْ إِن تَدَيْخُونَ فِي يُتُوتِكُمُ إِن كُنتُم تُؤْمِنِينَ اللهِ ﴿ [آل عمران: ٤٩]

يعني: وأخبركم بما تأكلون، مما لم أعاينه وأشاهده معكم في وقت أكلكم، وما ترفعونه فتخبأونه ولا تأكلونه.

وهذا كله من الإنباء بالغيب الذي لا سبيل لأحد من البشر عليه إلا بإذن الله (٤). ٦. نزول المائدة.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّوتَ يَعِيسَى
اَبُنَ مَرْيَهُ هَلَ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُغَزِّلُ عَلَيْنَا
مَآيِدَةً مِنَ السَّمَلَةِ قَالَ اتَقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُوْمِينِنَ (اللهُ قَالُو أَرِيدُ أَن تَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَعِنَ مُؤْمِينِينَ (اللهُ قَالُوا نُرِيدُ أَن تَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَعِنَ مُلْوَبُنَا وَتَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ فَلُو بُنَا وَتَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّمَةِ مَرَّيَمَ اللَّهُمَّةُ رَبِّنَا الشَّهِدِينَ (اللهُ عَلَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَةَ رَبِّنَا اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ وَاللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ

<sup>(</sup>٤) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ١/ ٢٣٩، مفاتيح الغيب، الرازي ٢٢٨/٨، ٢٢٩، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ٤٤، فتح القدير، الشوكاني ١/ ٣٩٢، محاسن التأويل، القاسمي ٢/ ٣٠، تفسير المراغي ٣/ ١٥٧، التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣/ ٢٥١.

هذه قصة المائدة، وهي مما امتن الله به على عبده ورسوله عيسى عليه السلام، لما أجاب دعاءه بنزولها، بعد طلب من قومه، فأنزلها الله آية ودلالة ومعجزة باهرة وحجة قاطعة على قدرته تعالى، وعلى نبوته عليه السلام (١).

# رفع عيسى عليه السلام ونزوله

# أولًا: رفع عيسى عليه السلام إلى السماء:

لما تآمر أعداء الله من اليهود على قتل عيسى عليه السلام والخلاص منه ومن دعوته، نجاه الله سبحانه وتعالى منهم، ورد كيدهم في نحورهم، فرفعه إليه.

يدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللّهُ يَعِيسَىٰ إِنِّ مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَى وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الّذِينَ كَغُرُوا وَجَاعِلُ الّذِينَ كَغُرُوا وَجَاعِلُ الّذِينَ التَّعُوكَ فَوْقَ اللّذِينَ كَغُرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيكَمَةُ ثُمَّ التَّعُوكَ فَوْقَ اللّذِينَ كَغُرُوا إِلَى يَوْمِ القِيكَمَةُ ثُمَّ التَّعُوكَ فَوْقَ اللّذِينَ كَغُرُوا إِلَى يَوْمِ القِيكَمَةُ ثُمَّ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللهُ عمران: ٥٥].

قال ابن جرير رحمه الله: «يعني بذلك جل ثناؤه: ومكر الله بالقوم الذين حاولوا قتل عيسى عليه السلام مع كفرهم بالله وتكذيبهم عيسى – عليه السلام – فيما أتاهم به من عند ربهم، إذ قال الله جل ثناؤه: ﴿إِنِّ مُتَوَفِّيكَ ﴾. فتو فاه ورفعه إليه.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى الوفاة التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآية:

فقال بعضهم: هي وفاة نوم، وكان معنى الكلام على مذهبهم إني منيمك ورافعك في نومك.

وقال آخرون: معنى ذلك إني قابضك من الأرض فرافعك إلي، قالوا: ومعنى

<sup>(</sup>۱) البرص: داء معروف، وهو بياض يقع في الجسد، برصَ بَرَصًا، والأنثى برصاء. انظر: لسان العرب ۷/ ٥.

الوفاة القبض، لما يقال: توفيت من فلان ما لي عليه، بمعنى: قبضته واستوفيته، قالوا: فمعنى قوله: ﴿إِنِّ مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ وَرَافِعُكَ أَي: قابضك من الأرض حيًا إلى جواري، وآخذك إلى ما عندي بغير موت، ورافعك من بين المشركين وأهل الكفر بك

وقال آخرون: معنى ذلك إني متوفيك وفاة موت.

وقال آخرون: معنى ذلك إذ قال الله يا عيسى إني رافعك إليّ، ومطهرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد إنزالي إياك إلى الدنيا. وقال: هذا من المقدم الذي معناه التأخير، والمؤخر الذي معناه التقديم.

قال أبو جعفر: «وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: معنى ذلك إلي قابضك من الأرض ورافعك إلي التواتر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال ثم يمكث في الأرض)(١) مدة ذكرها اختلفت الرواية في مبلغها، ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه»(٢).

وأكد الله تعالى أن عيسى عليه السلام لم

(۱) انظر: جامع البيان، الطبري ٦/ ٤٣١، المحرر الوجيز، ابن عطية ٢/ ٤٣٩- ٤٤٠، مفاتيح الغيب، الرازي ٢٢٩/٨، أنوار التنزيل، البيضاوي ٢/ ١٦٨، البحر المحيط في التفسير، أبو حيان ٣/ ١٦٥، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ٤٤، تفسير المراغي ٣/ ١٥٨.

(٢) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي ٢/ ١٨.

يقتل، ولم يصلب، بل شبه على اليهود الذين أرادوا ذلك، فظنوا أنهم صلبوه.

قال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَنَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللّهِ وَمَا قَنَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُيّهَ أَمُمْ وَإِنَّ ٱلْمَيْنَ ٱخْنَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكِ مِنّهُ مَا كَنْكُو أَفِيهِ لَفِي شَكِ مِنّهُ مَا كُمُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱلْبَاعَ ٱلظّنِ وَمَا قَنَلُوهُ يَقِينَا مَا كُمُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱلْبَاعَ ٱلظّنِ وَمَا قَنَلُوهُ يَقِينَا السّاء: ١٥٧].

أما قضية الرفع فبينا أقوال المفسرين فيها، وعلماء أهل السنة على أنه عليه السلام رفع ببدنه وروحه إلى السماء (٣)، أما كيف شبه لهم؟ فهناك تفسيرات عديدة لمسألة التشبيه على الناس في مسألة الصلب، و نلخص التفسيرات التي لا تعارض القرآن الكريم بما يلى:

 لم يصلب اليهود أحدًا، لكنهم ادعوا ذلك ليشبهوا على من قلدهم و يكذبوا عليهم بعد أن نجى الله المسيح عليه السلام من مكرهم (٤).

٧. صلب اليهود واحدًا من الناس و ادعوا
 أنه هو المسيح ابن مريم عليه السلام؛
 ليشبهوا الأمر على الناس بعد أن نجى
 الله نبيه عليه السلام، وهذا التفسير
 هو ما ذهب إليه ابن حزم رحمه الله

 <sup>(</sup>٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٦/ ٤٣٢، أنوار التنزيل، البيضاوي ١٨/٢، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ٤٥، التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣/ ٢٥٢.

<sup>(</sup>٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٢٢٥.

في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل» حيث يقول رحمه الله: «إنما عنى بذلك تعالى أن أولئك الفساق الذين دبروا هذا الباطل وتواطؤوا عليه أنهم كذبة، وهم شبهوا على من قلدهم وكذبوا عليهم، فأخبروهم أنهم صلبوه وقتلوه، وهم كاذبون في ذلك، عالمون أنهم كذبة»(١). و يضيف ابن حزم في شرح جملة (شبه لهم) قائلًا: «إنما هو إخبار عن الذين يقولون بتقليد أسلافهم من النصاري واليهود أنه عليه السلام قتل و صلب، فهؤلاء شبه لهم القول، أي: أدخلوا في شبهة منه. وكان المشبهون لهم شيوخ السوء في ذلك الوقت، وشُرَطهم المدعون لهم أنهم قتلوه وصلبوه، وهم يعلمون أنه لم يكن ذلك. وإنما أخذوا من أمكنهم فقتلوه وصلبوه في استتار ومنع من حضور الناس. ثم أنزلوه ودفنوه تمويهًا على العامة الذين شبه لهم الخبر» (٢٠).

(۱) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تزال طائفةٌ من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعضٍ أمراء، تكرمة الله هذه الأمة". أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم، رقم ٢٥٦، ١٣٧/١.

(۲) جامع البيان، الطبري ٣/ ٢٨٩ - ٢٩١.

٣. صلب اليهود أحد تلاميذ المسيح عليه السلام الذين افتدوا نبيهم بأنفسهم، فادعى التلميذ بأنه هو المسيح عليه السلام عندما طلبه الجنود. فشبه الأمر لليهود بأن ظنوا أنهم صلبوا المسيح عليه السلام وقتلوه.

3. صلب اليهود أحد الذين وشوا بالمسيح عليه السلام بعد أن جعل اليهود يرونه على صورة المسيح عليه السلام . فظنه اليهود بأنه هو المسيح عليه السلام فصلبوه وقتلوه. فشبه الأمر لليهود بأن ظنوا أنهم صلبوا المسيح عليه السلام وقتلوه.".

والناظر إلى التفسيرات الأربعة أعلاه يرى عدم تعارضها مع الآية: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا فَنَلْنَا اللَّهِ عِيسَى آبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا فَنَلُوهُ وَمَا ضَلَبُوهُ وَلَكِن شُيِّهَ أَهُمْ ﴾ [النساء: ١٥٧].

لكن النظريتين الأخيرتين تعتمدان في الأغلب على أناجيل النصارى الذين لا نصدقهم في ادعاءاتهم ولا نكذبهم؛ حيث لم يخالفوا في قصتهم عن شبيه المسيح نصًا من نصوص الشريعة الإسلامية من قرآن أو حديث (٤).

 <sup>(</sup>٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٦٤ - ٦٥، مجموع فتاوي ابن تيمية ٤/ ٣٢٢.

<sup>(</sup>٤) ويقوي هذا الاحتمال ما نقله إنجيل يوحنا بأن يسوع تحدى اليهود بأنهم سيطلبونه ولا يجدونه: «فقال لهم يسوع: أنا معكم زمانًا

# ثانيًا: نزوله عليه السلام آخر الزمان:

وردت الإشارة إلى هذا النزول في القرآن الكريم حسب أقوال المفسرين، ففي قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ وَلَهِلُم لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتُرُكَ بِهَا وَأَنَّ بِعُونَ هَذَا صِرَطُ مُسْتَقِيمٌ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ ال

قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي وقتادة: إنه خروج عيسى عليه السلام، وذلك من أعلام الساعة؛ لأن الله ينزله من السماء قبيل قيام الساعة، كما أن خروج الدجال من أعلام الساعة (١).

وَفِي قُولُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِن مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنُنَّ بِدِهِ مَبْلَ مَوْتِدِةً وَيُؤْمَ ٱلْقِينَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُولِي اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ

قال ابن جرير رحمه الله: «يعني قبل موت عيسى -عليه السلام- يوجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال، فتصير الملل كلها واحدة، وهي ملة الإسلام الحنيفية، دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم»(۲).

يسيرًا بعد، ثم أمضي إلى الذي أرسلني. ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا» يوحنا ٧: ٣٤–٣٥.

(١) الفصل ١/ ٢٧٠.

(۲) الفصل ۱/۷۷.وذهب قريبًا من هذا الاستنتاج النصراني «ملمن» في كتابه «تاريخ الديانة النصرانية» حيث يقول: «إن تنفيذ الحكم كان وقت الغلس، وإسدال ثوب الظلام، فيستنتج من ذلك إمكان استبدال المسيح بأحد

وأما في السنة فقد تواترت الأحاديث على نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان (٣)، وفي الصحيحين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحدٌ)(٤).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

المجرمين الذين كانوا في سجون القدس منتظرين تنفيذ حكم القتل عليهم كما اعتقد بعض الطوائف، وصدقهم القرآن».

- (٣) ويؤيد هذه القصة ما ورد في إنجيل برنابا، فقد جاء فيه أن الله ألقى شبه عيسى عليه السلام على يهوذا، وأنه رفع إلى السماء.و قد مهد لهذا بإعلان أن المسيح عليه السلام سوف يحيا إلى نحو منتهى العالم، وأن جبريل قد أخبره بخيانة يهوذا، ثم أعلن يسوع أن الله سيصعده من الأرض، وسيغير منظّر الخائن يهوذا حتى يظنه كل أحد أنه يسوع برِنابا ١١٢: ١٥. ثم يؤكد إنجيل برنابا القول بأن المسيح عليهِ السلام لم يوضع على الصليب أبدًا، بل ألقى الله شبهه على يهوذا الاسخريوطي فصلب بديلًا عنه. و مما قاله برنابا: «الحق أقول إن صوت يهوذا وشخصه ووجهه بلغت من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه و المؤمنون به كافة أنه يسوع» إنجيل برنابا: تحقيق سيف الله أحمد فاضل/ ٢٩٢.
- (٤) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي ١/ ٨٠٥، الكشاف ١/ ٣٦٨، المحرر الوجيز ١/ ٢٢٨، مفاتيح الغيب، الرازي ٨/ ٢٧.

#### موضوعات ذات صلة:

الإنجيل، أهل الكتاب، مريم، موسى، النصاري (لا تزال طائفةً من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة)(١). وأما الحكمة من نزوله، فللعلماء في ذلك أقوال، منها:

- الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه، فبين تعالى كذبهم، وأنه الذي يقتلهم.
- نزوله لدنو أجله ليدفن في الأرض؛ إذ
   ليس لمخلوق من التراب أن يموت في
   غيرها.
- أنه دعا الله لما رأى صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته أن يجعله منهم، فاستجاب الله دعاءه وأبقاه حتى ينزل في آخر الزمان مجددًا لأمر الإسلام، فيوافق خروج الدجال فيقتله.
- تكذيبه لكل من ادعى إلهيته أو بنوته لله تعالى. قال ابن حجر رحمه الله: «والأول أوجه» (٢).

وأما مدة بقائه في الأرض فقد اختلفت في ذلك الروايات بين سبع سنين، أو تسع عشرة، أو أربعين سنة (٣).

<sup>(</sup>۱) انظر: الجامع لأحكام القرآن ۱۲/ ۷۰، تفسير القرآن العظيم ١٣٣/٤.

<sup>(</sup>۲) جامع البيان ٢/١٨.

 <sup>(</sup>٣) انظر أقوال أهل العلم في تواتر الأحاديث في هذه المسألة: التصريح بما تواتر في نزول

المسيح، الكشميري، ص٥٦.